البحث (٩)

المساجد بين الاتباع والابتداع

د / أحمد عبد الهادى شاهين

أستاذ الدعوة والأديان المساعد

بقسم الدعوة بالكلية

من نور القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

سورة النور الآية (٦٣)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين (ﷺ) وقائد الغر المحجلين ، ورحمة الله للعالمين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين .

وبعد ....

فالمساجد ميدان هام من ميادين الدعوة الإسلامية ، فهي بيوت الأتقياء ، ومصانع الرجال العظماء ، هي واحة المسافر ، ومأوى عابر السبيل ، هي ملاذ الطالبين ، ورياض الصالحين ، إليها يفزع الناس في الشدة ليرفع الله البلاء ، وفي داخلها يتساوى الفقراء والأغنياء ، ومن فوق مآذنها يصدح الأذان ، وفي ساحتها تقام الجمع والجماعات ، وعلى منابرها تتهمر الخطب والعظات ، التي تقضي على المنازعات ، وتحل المشكلات ، ومن ثم بنيت المساجد في الإسلام لتكون مشعل هداية ، ومنارة علم ، فتهدى الحائر ، وتنير الطريق .

ولشرف المساجد نسبها الله – سبحانه وتعالى – إلى نفسه في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [1] .

ولقد أثنى الله – سبحانه وتعالى – على رواد المساجد ، فشهد لهم بالإيمان والرجولة ، والخوف منه،وحرصهم على مرضاته ، وأنهم أهل الهداية والفلاح في الدنيا والآخرة .قال تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا

---

(١) سورة الجن الآية رقم (١٨) .

تتقلب فيه القلوب والأبصار * ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ (١) .

كما شهد الله – سبحانه وتعالي لعمار المساجد بأنهم أهل الإيمان والخشية والهداية قال تعالي : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ (٢) .

ولأهميتها كان أول شئ فعله النبي ﷺ بعد الهجرة هو بناء المسجد، وكان مسجده ﷺ متواضعاً في مظهره وشكله ، وبنائه وفرشه ، وأعمدته وسقفه ، يقل الصحابة من حر الصيف ، وبرد الشتاء ، وهم يشعرون بأنهم في أطهر البقاع في الأرض .

وكان ﷺ إذا أراد سفراً يخرج منه ، وإذا عاد من السفر يدخل فيه ، فكان المسجد في العصر النبوي هو المنطلق لكل عمل صالح ، والرئة التي يتنفس منها المجتمع ، حتى يحي حياة طيبة فمن ساحته يخرج النور الذي يضئ الحياة .

ولما كانت المساجد بهذه الأهمية العظمى ؛ كانت هذه الصفحات التي تتناول قضايا السنة والبدعة ، في المساجد وما يتعلق بها (المساجد بين الاتباع والابتداع) من أجل عودتها إلى الصورة الصحيحة التي ينشدها الإسلام ، فتنجح في أداء رسالتها نقية بيضاء، بعيدة عن البدع والدخيل الذي أفقدها دورها ووظيفتها ، وجذبها إلي الخلف والوراء فتأخرت الأمة وسبقها غيرها ، في حين أن كل عناصر الإصطلاح والتقدم

---

(١) سورة النور الآيات رقم (٣٦ – ٣٨) .

(٢) سورة التوبة الآية رقم (١٨) .

في يدها ، قال أمير الشعراء أحمد شوقي – رحمه الله – شاكياً الأمة إلي نبيها ﷺ :

شعوبك في شرق البلاد وغربها

كأصحاب كهف في عميق سبات

بأيمانهـم نوران ذكـر وسنـة

فما بالهـم في حالك الظلمـات

وأمل لهذه الكلمات – إن شاء الله – أن تكون تذكرة لمن يخشى ، تهدى الحائرين إلى الطريق الأقوم ، وإلى صراط الله المستقيم .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

التعريف بعنوان الموضوع

قبل الحديث عن المسجد وضوابطه في الإسلام بين الاتباع والابتداع، تجدر الإشارة إلي التعريف بعنوان الموضوع وهو : المساجد ، الاتباع ، الابتداع .

١ – **المساجد** : جمع مسجد ، وهو مأخوذ من الفعل الثلاثي سجد بمعني خضع ، وفي المعجم الوسيط : (المسجد هو مصلي الجماعة ، وسجد وضع جبهته على الأرض فهو مساجد) [١] .

فيستفاد من ذلك أن المسجد اسم مكان للموضع الذي تقام فيه الصلوات ، وخص موضع السجود بالذكر لأنه أشرف شئ في الصلاة ، وجاء ذكره في القرآن الكريم ثمان وعشرين مرة بلفظ الإفراد والجمع [٢]

٢ – **الاتباع** : مصدر مأخوذ من الفعل الثلاثي تبع : بمعني سار في أثر الشيء أو تلاه ، وفي المعجم الوسيط : (تابع الشيء : تقصاه ، وسار وراءه ، وتطلبه ، وحزي حزوه ، واقتدي به) [٣] .

٣ – **الابتداع** : مصدر مأخوذ من الفعل الثلاثي بدع بمعني أحدث واخترع .

وفي المعجم والوسيط البدعة : إنشاء الشيء على غير مثال سابق ، ومنه قوله تعالي : ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [٤] .

---

(١) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ١ / ٤٣٢ ط / مجمع اللغة العربية .

(٢) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم أ / محمد فؤاد عبد الباقي ص ٣٤٥ .

(٣) المعجم الوسيط ١ / ٨٤ ، ٨٥ .

(٤) المصدر السابق ١ / ٤٤ . والآية من سورة الأنعام ، ١٠١) .

ومما سبق يتبين أن المقصود بعنوان الموضوع هو : متابعة الصورة التى كان عليها المسجد في عصر النبي (ﷺ) في بنائه ، ودوره ، ورسالته ، والحذر من المخالفات الشرعية ، والبدع المستحدثة التى لحقت به أو أضيفت إليه دون دليل شرعي ، أو تحقيق مصلحة عامة للمسلمين .

١ - التحذير من الابتداع في الدين

الابتداع خطر على الدين ، وخطر على الأمة المسلمة ، لأنه يبعد الأمة عن نقاء مصادرها الأصلية الإلهية المنزلة من عند الله - سبحانه وتعالى - فتفقد الأمة خصائصها ، وهى سلامة المصدر والمنهج ، وتضيع معالم الدين ، وتذهب ربانيته ، ويفقد فاعليته ، ويغيب التأييد الإلهى من الله - عز وجل - فتتلاشى الأمة ، وتذهب سدي ، وتكون أثراً بعد عين .

أ - تحذير القرآن الكريم من الابتداع فى الدين :

لقد حذر القرآن الكريم الأمة المسلمة من هذا المسلك ، فجاءت آيات القرآن الكريم تنذر الأمة من هذا الخطر ، وتحذرهم من المخالفة ، حتى لا يعرضوا أنفسهم للعذاب الأليم ، ومن هذه الآيات ما يأتي :

١ - قال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .

ومخالفة أمر النبي ﷺ بعد عن السنة ، وترك لها ، وما ضاعت سنة إلا قامت مكانها بدعة ، وقد ذم النبي محمد ﷺ البدعة فقال : " وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار " (٢) .

---

(١) سورة النور الآية رقم (٦٣) .

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الجمعة (٨٦٧) .

وقد ضل الطريق، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً • الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (١)

٥ – قال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٢)

والفرقة في الدين إنما تنشأ من الابتداع فيه ، حيث يأتي كل مبتدع بطريقة جديدة تخالف ما كان عليها السابقون ، فتتشعب الطرق وتتعدد ، ويكثر الخلاف ، وتضيع معالم الدين الصحيح ، لذلك جاء التحذير في الآية الكريمة بأن النبي ﷺ براء منهم ، فهم ليسوا منه ، وهو ليس منهم ، وأي خسارة وضياع للإنسان بعد أن يتبرأ منه النبي ﷺ ويخسر شفاعته في الآخرة .

فليكن المسلم على حذر من الابتداع في الدين ، خاصة أن لديه من التشريع الرباني ما يغنيه عن البدع والابتداع ، قال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (٣) .

ب - تحذير السنة النبوية من الابتداع في الدين

لقد جاءت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تحذر المسلمين من الابتداع في الدين ، وذلك لتمامه وكماله ، فليس هناك حاجة للزيادة أو الإضافة أو

---

(١) سورة الكهف الآية رقم (١٠٣ – ١٠٤) .

(٢) سورة الأنعام الآية رقم (١٥٩) .

(٣) سورة المائدة الآية رقم (٩٢) .

الإلحاق ، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز :﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ (١)

ومن الأحاديث التى جاءت في هذا الباب وتعد أصلا من أصول الإسلام ، وقال بعضهم عنها إنها ثلث العلم ، لأنها ميزان لظاهر العمل ، فبي تبين إذا كان العمل موافقا للشرع فيقبل ، أم مخالفا له فيرد ويرفض .

١ - قوله ﷺ في الصحيحين من حديث عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن رسول الله ﷺ قال " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " (٢) وفى رواية " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد " (٣)

ومعنى أحدث : أخترع وأنشأ ، والمقصود بأمرنا هذا أي ديننا ، وأما قوله فهو رد أي مردود على صاحبه ليس له مجال للقبول ، ويستفاد من الحديث أن كل من اخترع طريقة جديدة للعبادة يتقرب بها إلى الله لم يشرعها الله - سبحانه وتعالى - ولم يسنها النبي ﷺ فهي غير مقبولة منه، ومردودة عليه .

والرواية الثانية من الحديث ترد على كل من قلد غيره في بدعة ، ولو لم يخترعها من عنده ، فالنتيجة واحدة ، أن العمل مردود في كليهما .

٢ - أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما أن - رسول الله ﷺ كان يقول في خطبته " أما : بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة " (٤) . وحديث العرباض بن سارية - رضى

---

(١) سورة المائدة الآيتان رقم (٣) .
(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٦٩٧) .
(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٧١٨) .
(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٨٦٧) .

الله تعالى عنه – الذي وعظ النبي ﷺ فيه الصحابة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، وكأنها موعظة مودع وكان منها قوله ﷺ " وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ، ضلالة وكل ضلالة في النار " (١) .

فقد ذم النبي ﷺ الأمور المحدثة في الدين ، حيث جاء الذم بعد ذكر القرآن والسنة ، فيفهم منه أنه يخص محدثات الدين لا محدثات الدنيا ، وفى الحديث وصف للبدعة على إطلاقها بالضلالة ، ليتضح أن كل البدع مذمومة على الإطلاق ، وفيه رد على من يقول بتقسيم البدعة إلى حسنة وقبيحة ، فالبدعة طريق الضلال والضلال نهايته إلى النار .

٣ – فى مسند الإمام أحمد بسنده أن النبي ﷺ قال : " ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة ، فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة " (٢) .

فالبدعة ضد السنة ومقابلة لها،والبدعة من اختراع البشر ، والسنة من تشريع الله وتبليغ رسوله ﷺ ، فكل اختراع جديد في دين الله إنما يقابله ضياع لسنة كانت موجودة بين الناس ، فهما يتصارعان ، فأيهما غلب بقى في الميدان وانسحب الطرف الآخر .

٤ – وإذا كانت البدعة مذمومة ومنهيًا عنها فإن صاحبها مذموم أيضا ، ويضاعف عليه الوزر والإثم والعقاب يوم القيامة

وفى الحديث عنه ﷺ قال : " من سن سنة حسنة وعمل بها كان له أجرها وأجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئا ومن سن سنة سيئة

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسند الشاميين (١٦٥٢١) .

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسند الشاميين (١٦٣٥٦) .

فعمل بها كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده لا ينقص من أوزارهم شيئا " (١) .

وفي الحديث أيضا عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلاله كان عليه من آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا " (٢) .

وفي مستدرك الحاكم بسند جيد عنه ﷺ أنه قال : " إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم ، ولكن رضي أن يطاع فيما سوي ذلك مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه ، وإني قد تركت فيكم المعتصم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ " (٣) .

ولما كان أمر الابتداع في الدين مقطوعاً بحرمته عند الصحابة الكرام ، وسلفنا الصالح – رضوان الله عليهم – جاءت أقوالهم تذم البدعة وتمدح السنة ، سيرا على منهج النبي ﷺ ومن هذه الأقوال :

١ – قال الصديق – رضي الله تعالي عنه – في أول خطبة له بعد الخلافة : " إنما أنا متبع ولست مبتدعاً ، فإن استقمت فبايعوني ، وإن زغت فقوموني "

٢ – قول ابن مسعود – رضي الله تعالي عنه–: " الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة " .

٣ –وقول ابن مسعود أيضاً:"اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم"

---

(١) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة في المقدمة (٢٠٣) .
(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في العلم (٢٦٧٤) .
(٣) الحديث أخرجه الإمام الحاكم في المستدرك،ومجمع الزوائد ١٠/ ٥٣

٤ – قال ابن عمر – رضي الله عنهما – : " كل بدعة ضلالة ، وإن رآها الناس حسنة "

٥ – قال ابن عباس – رضي الله تعالي عنهما – : " عليكم بالاستقامة والأثر ، وإياكم والبدع " .

٦ – قال حذيفة بن اليمان – ﷺ – : " كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تعبدوها ، فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً " (١) .

فمن الآيات القرآنية السابقة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، وأقوال الصحابة الأعلام ، يتضح أن البدعة مذمومة ، وخطرها عظيم ، وخطبها شديد ، لأنها تفسد الدين ، وتحمل صاحبها الإثم والوزر إلي أن توردة المهالك في الدنيا والأخرة .

٢ - أسباب الابتداع في الدين

إن انتشار البدع في مجتمع ما دليل على غياب الفهم الصحيح للدين، الذي يعصم الناس من الوقوع في تلك البدع ، فإذا غاب هذا الفهم الصحيح ، وانساق الناس وراء الأهواء والشهوات ، انتشرت البدع التي تفسد على الناس عقيدتهم وعباداتهم وأخرتهم .

ولا شك أن البدع لا تظهر من فراغ ، وإنما يقف وراء ظهورها وانتشارها أسباب كثيرة، منها ماله علاقة بدور الشيطان في إغواء بني آدم،ومنها ماله علاقة بأعداء الإسلام، ومنها ما يتعلق بالمسلمين أنفسهم،ويمكن توضيح ذلك فيما يأتي :

---

(١) هذه الآثار أوردها الإمام الدرامي في مسنده . ونقلها عنه الإمام أبو شامة الدمشقي في كتابه الباعث على إنكار البدع والحوادث .

١ - دور الشيطان في الابتداع في الدين :

البدع وسيلة من وسائل الشيطان في إضلال الناس وإغوائهم ، ليتحرف بهم عن صراط الله المستقيم ، وقد أقسم الشيطان على ذلك أمام رب العالمين ، وسجله القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [١] . فهو لا يكف ليلاً أو نهاراً عن الوسوسة للمسلمين ، عله يجد منهم أتباعا له ، فيقذف بالوسوسة في نفوسهم استحداث أمور في الدين ، مبالغة منهم في التعبد ، ظانين بذلك أنهم يحسنون صنعا.

فإذا ما استحدث الناس البدع واستحسنوها صارت بمرور الوقت أمرا مألوفا لديهم ، دون أن يرجعوا فيها إلى ضوابط الشرع ، وقواعد الدين .

ولعل من دوافع الشيطان أن يلجأ إلى هذا المسلك أنه يئس من أن يعبد أو يطاع صراحة في بلاد المسلمين ، حيث لا يستجيب له أحد بالكفر أو الشرك ، وإذا وقع أحد المسلمين في ذنب صغير أو كبير ، سرعان ما يتخلص من إثمه بالتوبة والرجوع إلي الله – تعالى – عن قريب ، فلجأ الشيطان إلى حيله وألاعيبه ، فيدخل لهم من باب الطاعة ، بالتقرب إلى الله بإحداث أمور في الدين غير مشروعة، ولا يظن الإنسان أنه قد وقع في معصية أو مخالفة للشرع حتى يتوب منها،وهذا هو الخطر الأكبر .

وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال :"إن الشيطان قد يئس من أن يطاع في أرضكم لكنه رضي أن يطاع فيما سوي ذلك بما تحقرون من أعمالكم" [٢]

---

(١) سورة ص الآيتان (٨٢ – ٨٣) .

(٢) الحديث أخرجه الإمام الحاكم في المستدرك،ومجمع الزوائد ١٠/ ٥٣ .

٢- دور أعداء الإسلام :

قال تعالى في وصف أعداء الإسلام وهم يخططون لردة المسلمين عن دينهم : ﴿ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ ﴾ (١)

فحينما فشلت حروبهم المستمرة في النيل من الإسلام والمسلمين ؛ اتجهوا إلى الغزو الفكري ليحققوا من خلاله ما فشلت فيه المدافع والقنابل .

فقاموا بدراسات واسعة حول الإسلام عقيدة وشريعة ، وأخلاقا وتاريخا ، فأيقنوا أن سر قوة المسلمين وانتصاراتهم تكمن في صحة دينهم ، وتمسكهم به ، فعملوا على إفساد الدين من خلال تشجيع جهلاء المسلمين بإحداث البدع وانتشارها،ليدخلوا في الدين ما ليس منه ، فتختلط المفاهيم ، وتلتبس الأمور ، وتفسد العقائد والعبادات ، فيفقد المسلمون أنوار الاتباع ، ويعيشوا في ظلام وتخبط، فيسهل على الأعداء أداء مهمتهم بسهولة ويسر.

ولقد سجلت كتب التاريخ في القرن الرابع الهجري أن الدولة الفاطمية كانت لها اليد الطولى في إحداث كثير من البدع ، خاصة فيما يتعلق بالموالد والأضرحة ،وحملوا الناس على إقناعهم بها والمواظبة عليها .

ومعلوم أن هذه الدولة تنتسب زورا وبهتانا إلى آل البيت، فقادتها وحكامها من العبيديين ، وهم يهود من بلاد المغرب ، تظاهروا بالإسلام والتشيع بالحب لآل البيت ، واندسوا بين المسلمين إلى أن وصلوا إلى حكم مصر ، وقاموا بأداء دورهم من بث الفتنة والفرقة في دولة الخلافة إلى

---

(١) سورة البقرة الآية (٢١٧) .

أقصى درجة ، فعلموا على إضعافها،ولقد زالت دولتهم في أقل من مائة عام ، لكن بقيت آثارهم وبدعهم وانحرافاتهم يعاني منها المسلمون مأت السنين.

هذه آثارنا تدل علينـــا فانظروا بعدنا إلي الآثار

٣ - الجهل والقول بغير علم :

الجهل حجاب يمنع صاحبه عن الرؤية الصحيحة،فيسير على غير هدى ، ويمشي على غير طريق .

وكم من عائب قولا صحيحا وآفتـــه مـــن الفهـــم السقيم

والقول في الدين لابد أن يكون على علم وبصيرة ، حتى لا يضل الإنسان أو يضل الناس،ولقد حرم الإسلام القول بغير علم ، وقرنه في التحريم بالفواحش والشرك ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ (١) .

والقول بغير علم كذب صراح على الله -سبحانه وتعالى- وظلم للنفس وللغير ، قال تعالي : ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ (٢)

فالجاهل إذا أقحم نفسه في ميدان العلم ، وأفتى في أمور الدين من تلقاء نفسه ، دون أن يرجع إلى العلماء الثقات ، ابتدع لا محالة، كمن يمشي في الصحراء دون أن تكون معه بوصلة ليعرف بها الجهات

---

(١) سورة الأعراف الآية (٣٣) .

(٢) سورة الأنعام الآية (١٤٤) .

والاتجاهات ، فلا شك أنه سوف يضل الطريق ، ويعود إلى حيث بدأ، ويقضي وقته في غير فائدة

وماذا يضير الإنسان إذا كان لا يعلم أن يقول لا أعلم ، أو لا أدري ويسأل غيره ، " وقد سئل النبي ﷺ عن خير البقاع وشرها، فقال لا أدري حتى نزل عليه جبريل -عليه السلام-" (١)

وفي الحديث عنه ﷺ " إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبضه بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالما ؛ اتخذ الناس رؤساً جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا " (٢).

٤ - اتباع الهوى :

الهوى ميل النفس أو انحرافها نحو شئ ما دون دليل شرعي ، وهو أمر مذموم ، لأن النفوس جبلت على حب الشهوات والتعلق بها ، والإسلام يريد منها أن تسمو إلى التحكم في نزواتها ، والتعلق بما شرعه الله – عز وجل – من أمور الحلال والمباح .

وقد ذم الله – سبحانه وتعالى – في القران الكريم صاحب الهوى الذي يعميه عن الحق والحقيقة فقال تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ (٣).

إن صاحب الهوى يترك الأصل الثابت،ويتبع تقلبات هواه ، فيذعن له بالقبول والتسليم ، وهذا أمر عجيب يستحق الإنكار. الشديد من الله –

---

(١) الحديث أخرجه الإمام الحاكم في المستدرك ١ / ١٩٠ وكشف الخلفاء ١/٥٢ .

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم (١٠٠) .

(٣) سورة الجاثية الآية (٢٣) .

عز وجل – لهذا العمل ، وأن يختم الله على منافذ المعرفة ومداخل النور له ، فلا أحد يهديه بعد الله –عز وجل – .

ولقد ذم الله مشركي قريش أيضا لأنهم اتبعوا أهواءهم ، وبنوا أمورهم على الظن ، بالرغم من أن الله بين لهم طريق الهداية والرشاد ، قال تعالى : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ (١)

إن الدين يقوم على اليقين القاطع ، وليس على الظن ولا على اتباع الهوى ؛ لأن الهوى يميل بالإنسان إلى رغائب النفس وشهواتها، وليس إلى المصلحة العامة للجميع ، أو الصواب الذي ينشده الناس .

ومن عظمة الرسالة الإسلامية أن طريقها واضح لا غموض فيه ، مستقيم لا اعوجاج فيه ، فليس فيها أمر أو نهي إلا وفيه بيان من الله – عز وجل – قال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

فشريعة الله أولى بالأتباع من أهواء الذين لا يعلمون ، لأن أهواءهم متقلبة ومتغيرة ، وأحكام الله ثابتة وباقية ، وشتان بين شريعة الله ، وأهواء البشر .

فالهوى هو أساس الابتداع ، حيث يتبع الإنسان ما تميل إليه نفسه ، دون أن يعود إلى دليل شرعي يضبط حركته ، فيجعل من نفسه مشرعا لنفسه ولغيره ، ويستحسن وفق هواه دون معرفة قواعد الاستحسان ، فيوقع نفسه في المهالك ، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك في الحديث ، فعن أبي

---

(١) سورة النجم الآية (٢٣) .

(٢) سورة الجاثية الآية (١٨) .

برزة عن النبي ﷺ قال: " إنما أخشى عليكم شهوات الغى في بطونكم وفروجكم ، ومضلات الهوى [١].

من أجل ذلك وجه النبي ﷺ الأمة إلى أن تكون أهواؤها وفقا للدين ، والشرع ، وعد ذلك من كمال الإيمان فقال ﷺ : " لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به " [٢].

٥ - التقليد للمبتدعين:

التقليد للغير دون معرفة السبب والغاية آفة خطيرة ، وخطأ جسيم ، حيث يلغى الإنسان عقله الذي هو أداة التفكير للوصول إلى الحق والحقيقة، ويتبع غيره دون برهان صحيح ، أو حجة قوية ، فيقع في الخطأ والانحراف لا محالة ، إن المقلد حينئذ يشبه الأنعام التى يقودها صاحبها وهى تتبعه في هدوء دون اعتراض ، لأنها لا تعقل ، وليس من حقها أن ترفض ؛ لأنها أسيرة عند صاحبها .

ولقد عاب الله ما عليه مشركو قريش من تقليدهم للآباء والأجداد دون إعمال للعقل أو تحريك للفكر ،قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [٣].

وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ * قَالَ

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٨٩٣٧) ومجمع الزوائد ١ / ١٨٨.

(٢) الحديث أخرجه الإمام ابن حجر في فتح الباري ١٣ / ٢٨٩ .

(٣) سورة البقرة الآية (١٧٠) .

أولوْ جئتكم بأهدى مما وجدتمْ عليْه آباءكمْ قالوا إنا بما أرسلتُم به كافرُون ﴾ (١).

إن رفض الحق لمجرد تقليد الآباء وما كانوا عليه حجة متهافتة ، لا يقبلها عاقل ، لأنها تخلو من الدليل والبرهان ، والتدبر والتفكر ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هاتُوا بُرْهانكُمْ إن كُنتُمْ صادقين ﴾ (٢).

إنه منطق الترف والبطر والاستعلاء على الحق ، وليس منطق العاقل الذي ينشد الحقيقة والصواب ، وتلك سمة من سمات المعارضين للأنبياء وأتباعهم في كل وقت وحين .

ولقد تعددت الروايات التي تنهى عن الابتداع في الدين لتشمل المبتدع والمقلد له ، أما المبتدع فقد قال ﷺ : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد (٣).

وأما المقلد فقد جاءت الرواية الأخرى من الحديث السابق التي يقول ﷺ فيه :"من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد" (٤).

سواء كان هذا العمل من عنده أو قلد فيه غيره ، وأغلب المبتدعين يقلدون غيرهم في بدعهم دون معرفة الدليل الذي يستندون عليه في مشروعية هذا العمل من عدمه ، وحينما تناقشهم في ما هم عليه يقولون : سوف نأتي لك بفلان ليناقشك في ذلك ، أما هو فيقلد فقط دون دليل أو برهان .

---

(١) سورة الزخرف الآيتان (٢٣ – ٢٤) .

(٢) سورة النمل الآية : (٦٤) .

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٦٩٧) .

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٧١٨) .

٦ - التكسب من وراء البدع :

إن كل مجتمع فيه الأصيل والدخيل ، والنافع والمنتفع ، فهناك من ينفع الأمة بنشر السنة ومحاربة البدعة ، وهناك من ينتفع بوجود البدع وانتشارها ، وغياب السنة وضياعها ، وقديماً قيل : النصابون بخير ما دام هناك مغفلون .

وقد رأينا في مجتمعاتنا المعاصرة أناساً يتكسبون من وراء الموالد والأضرحة ، حيث يجمعون الأموال من الناس لأنفسهم ، تحت دعوي إقامة الموالد للأولياء ، وما تحتاجه من وسائل الإعاشة والإضاءة ، وبعضهم لهم حصص في صناديق النذور التى بالمساجد الكبري ، وبعضهم ينتفع من وراء إقامة الخميس والأربعين والسنوية والسرادقات الضخمة للعزاء،وبعضهم ينتفع من وراء إقامة الأفراح الماجنة المختلطة ، وبعضهم ينتفع من وراء بيع الدخان رغم ضرره حرمته .

إن هؤلاء المنتفعين اعتقدوا أن أرزاقهم مرتبطة بوجود هذه البدع والمحرمات ، ومن ثم فهم يحرصون على بقائها ، ويسعون إلي انتشارها ، ويعادون من يقف في سبيلها ، وقد رأينا بعض المشركين قديماً يتمسكون بالميسر والخمور ومجالسهما لما تدر عليهم من ربح وافر وسريع ، فجرم القرآن تلك المنفعة المادية العاجلة فقال تعالي : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ (١) وقال تعالي : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة البقرة الآية (٢١٩) .

(٢) سورة المائدة الآية (٩٠) .

كما نهي القرآن الكريم عن المتاجرة بالأعراض للحصول على الأموال فقال تعالي : ﴿ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (١) .

فكل الأموال التي تأتى من وراء البدع والمحرمات إنما هى أموال سحت وحرام ، وقد قال (ﷺ):"كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به " (٢)

ألا فلينته هؤلاء المنتفعون بالبدع ، الذين يتربحون من ورائها قبل فوات الأوان ، وقبل الندم حين لا ينفع الندم ز

٧ - مجاوزة حد الاعتدال والاتباع في العبادة :

العبادة في الشرع لها ضوابطها المفصلة ، وهى مبنية على الاتباع لا مجال للعقل والرأي فيها ، قال تعالي : ﴿ اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء ﴾ (٣) .

لكننا نري بعضا من المسلمين يبالغون فى العبادات ، ويتجاوزون حد الاعتدال والاتباع ، فقد يصوم أحدهم العام كله مبالغة في التعبد ، مخالفاً هدي النبي ﷺ حيث يقول . " أفضل الصيام صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً (٤) .

وقد يخص أحدهم أياما بالصيام تقربا إلى الله لم يخصها الشرع بالوجوب أو الندب ، أو مبنية على أحاديث ضعيفة أو موضوعة ، مثل تخصيص السابع والعشرين من رجب بالصيام على أنها ليلة الإسراء

---

(١) سورة النور الآية (٣٣) .

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي كتاب في الجمعة (٦١٤) .

(٣) سورة الأعراف الآية (٣) .

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٢٠) .

والمعراج ، أو يخص أحدهم نصف شعبان بالصيام على أنه تحويل القبلة ، دون أن يرد فيهما حديث صحيح يرغب في صيامهما ، وقد يتوجه أحدهم إلى الرهبنة في صومعة والعكوف على العبادة والأوراد تاركاً الزواج ، والسعي على المعاش مخالفاً هديه ﷺ حيث يقول في الحديث : " لا رهبانية في الإسلام " (١) وناسياً حديث النبي ﷺ " إن لبدنك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً،وإن لزورك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حق حقه" (٢)

وبعد ....

فهذه هي أبرز الأسباب الرئيسة التى تقف وراء ظهور البدع وانتشارها في المجتمعات المسلمة ، والتي ظهرت آثارها عبر الفترات الطويلة في حياتنا الدينية والاجتماعية ولم تسلم منها عبادة ، وأصبحت واقعاً مشاهدا ألفه كثير من المسلمين ، ولا يسعون إلي تغييره وإزالته ، إلا من رحم الله – عز وجل – .

ومن الجدير بالذكر أنه يمكن التغلب على هذه الظاهرة وآثارها بإزالة أسبابها ، والسعي إلى نشر السنة ، ومحاربة البدعة ، قال ﷺ : " إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبي للغرباء " قيل يا رسول الله وما الغرباء ؟ قال " الذين يصلحون عند فساد الناس" وفي رواية قال :"الذين يحيون ما أماتَ الناس من سنتي " (٣) .

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد (١١٣٤٩) .

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الصيام (١٩٧٥) .

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان (١٤٥) .

٢ - الفرق بين البدعة والمعصية

من المهم جدا إيضاح الفرق بين البدعة والمعصية ، أو الفرق بين البدعة والمخالفة الشرعية ، خاصة أن هناك بعض الباحثين الذين يعملون في مجال الدعوة نشرا وتبليغا ، وكتابة وتأليفا ، يخلطون بين البدعة والمعصية ، فأضافوا إلى البدعة أمورا ليست منها ، أو أدخلوا تحتها أمورا خارجة عنها ، فالتبست الأمور ، واختلطت المفاهيم .

وقبل بيان أوجه الاتفاق والاختلاف يجدر الحديث عن تعريف البدعة عند العلماء القدامى ، وشرح هذا التعريف ، وكذا المعصية ، ثم استنباط مواطن الاتفاق و الاختلاف .

أ - تعريف البدعة :

فمن أجمع التعاريف للبدعة ما سطره الإمام الشاطبي في كتابه الاعتصام حيث يقول : (طريقة في الدين مخترعة تضاهي الطريقة الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد إلى الله تعالى) وفي تعريف آخر له يضيف إلى ما سبق : (يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية) [١].

ب - شرح التعريف :

طريقة في الدين : قيد في التعريف لحصر البدع في أمور الدين ، وليست في أمور الدنيا من الاختراعات والاكتشافات وغيرها .

---

(١) الاعتصام للإمام الشاطبي ١ / ٣٧ ط / دار المعرفة – بيروت .

مخترعة : أي جديدة لا أصل لها في الدين ، فلم يفعلها النبي ﷺ ولا الصحابة ، ولا السلف الصالح .

تضاهى الشرعية : أي مخترع هذه البدعة يريد أن يضفي عليها الشرعية ، بمضاهاتها طريقة العبادة المشروعة المأثورة ، وفى الحقيقة أنها ليست كذلك .

يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد : "هذا توضيح للغاية من اختراع هذه البدع ، وهو الانقطاع إلى العبادة .

أو ما يقصد بالطريقة الشرعية : هذه إضافة توضيحية تجعل التعريف يشمل المعاملات الشرعية والعادات التى هي من الدين وليست خارجة عن ضوابطه.

ومما سبق يتبين أن الابتداع في الدين يشمل الدين كله من العقائد والتشريعات والعبادات والمعاملات ، فلا يجوز لأحد أن يضيف إلى ذلك شيئا أو يحذف من ذلك شيئا ، فهذه الأمور لها ضوابطها من حيث الكيفية والزمان والمكان والحدود ، فلا يجوز التدخل فيها ، لكمال الدين وتمامه ، قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [١]

والدين مبنى على الاتباع ، قال تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء ﴾ [٢] . وفى الحديث عنه ﷺ " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " وفى رواية " ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد " [٣] .

---

(١) سورة المائدة الآية : (٣) .

(٢) سورة الأعراف الآية (٣) .

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٦٩٧) ، (١٧١٨) .

ولقد قسم بعض العلماء البدعة إلى حسنة وسيئة ، وذهب بعضهم على أن البدعة تعتريها الأحكام الخمسة التى جاءت في الحكم الشرعي ، وهي الوجوب والندب والتحريم والكراهة والإباحة .

وسر هذا التقسيم يرجع إلى تعريف البدعة في اللغة لا في الشرع ، فالبدعة حسب التقسيم السابق الواجبة والمندوبة والمباحة لا تدخل في مسمى البدع ، وإنما تدخل تحت مصدر آخر من مصادر الاجتهاد عند العلماء ، وهو المصالح المرسلة .

والأفضل ألا يلجأ إلي تقسيم البدعة بهذه الطريقة لعموم الحديث الوارد في إطلاق ذمّ البدعة ، وهو قوله ﷺ " وكل بدعة ضلالة " (١)

قد يقول قائل : قد نجد في البدع بعض المنافع ، فهي ليست باطلاً محضاً ، أقول : هذا كلام مردود ، لأن الباطل فيها يغلب الحق ، ولو كان الخير فيها راجحا لما أهملتها الشريعة الغراء ، أو اجتهادات العلماء .

وقد يقول قائل : إن البدعة تستند إلي دليل ، أو شبهة دليل .

أقول : إن هذا الدليل الذي يستند إليه المبتدع لقبول بدعته غير معتمد عند العلماء المتخصصين ، وإذا كان الدليل معتمداً فغالباً يكون الاستدلال به في غير موضعه ، وبالتالي يسقط الاستدلال بكليهما .

ح - تعريف المعصية :

وأما تعريف المعصية : فهي الخروج عن الطاعة ، والمخالفة لأمر الله ، والامتناع عن الانقياد .

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الجمعة (٨٦٧) .

فإذا كان هناك أمر صريح بوجوب الصلاة ، مثل قوله تعالي : ﴿ وأقيمُواْ الصَّلاة ﴾ فإن تركه ومخالفته يدخل في دائرة المعصية قولاً واحداً ، وليس في دائرة البدع .

وإذا كان هناك أمر بالنهي عن السرقة والوعيد لمن يفعل ذلك بالعقوبة ، مثل قوله تعالي : ﴿ والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فاقْطَعُواْ أيْدِيهُما جزاء بما كسبا نكالاً مِّنَ اللّهِ واللّهُ عزِيزٌ حكِيمٌ ﴾ (١) .

فإن تارك هذا النهي إذا تعدي حدود الله، ووقع في السرقة ، فتلك معصية ، ولا تسمى بدعة ، لأن فاعلها خالف أمرا صريحا، ولم يدع أنه يفعل هذا من الدين أو تقرباً إلي الله تعالي .

وبعد هذا التعريف السابق للبدعة وشرحها ، والمعصية وشرحها ، يلاحظ أن البدعة تتفق وتختلف عن المعصية ، أو المخالفة الشرعية في أمور منها .

د - أوجه الاتفاق والخلاف بين البدعة والمعصية :

فالمعصية والمخالفة الشرعية قائمة على الهوى مثل البدعة ، ولا تفعل المعصية بقصد التقرب إلى الله تعالي ، بل إن العاصى لا يدعى أن ذلك من الدين أو السنة .

يقول د/ يسري عبد الخالق خضر موضحا ما تتفق فيه المعصية مع البدعة ، وأوجه الخلاف بينهما :

أولا أوجه الاتفاق :

(١ - أن كليهما منهى عنه ، ومذموم فاعله .

---

(١) سورة المائدة الآية (٣٨) .

٢ – أن كليهما متفاوت ليس على درجة واحدة، فالمعاصي منها الكبائر والصغائر ، وهكذا البدع .

وأما أوجه الافتراق بين البدعة والمعصية فهي :

١– المعصية تستند في النهي عنها – غالبا – إلى دليل جزئي من القرآن الكريم أو السنة ، أو الإجماع ، أو القياس ، أما البدعة فمستند النهي عنها – غالباً – الأدلة العامة ومقاصد الشريعة ، وعموم قول الرسول ﷺ " كل بدعة ضلالة" .

٢– المعصية فيها مخالفة للمشروع إلا إذا قصد التقرب بها؛ فتكون بدعة ومعصية في وقت واحد ، أما البدعة فمن خصائصها أن فيها مضاهاة للشرع وليست منه .

٣ – المعصية فيها انتهاك للحرمات،وتعد للحدود ، وفاعلها جرئ على الله ، أما البدعة فصاحبها – غالبا – موقر لله – تعالى – معتقد أنه على الصراط المستقيم .

٤ – البدع فيها مجاوزة لحدود الله بالتشريع ، وصاحبها يعتقد أنه على الجادة ، ولهذا كانت البدع أشد خطرا من المعصية) [١] .

وبعد فهذه لمحة مختصرة حول البدعة والمعصية والفرق بينهما ، تعرضت لتناوله – باختصار – حتى تسمى الأمور بمسمياتها الحقيقية ، دون خلط بين المصطلحات ، أو التباس في المفاهيم ، ولنعرف خطورة كل من البدعة والمعصية ؛ حتى يكون المسلم على حذر منهما .

---

(١) الإلماع إلى خطر الابتداع د / يسري عبد الخالق خضر ص ٢٩ ، ٣٠ ، بحث منشور في حولية كلية أصول الدين والدعوة بطنطا ٢٠٠١ م .

٤ – ضوابط عند بناء المساجد

المساجد بيوت الأتقياء ، ومصانع الرجال الأوفياء ، منها يخرج النور الذي يضيئ الحياة ، ومن فوق مآذنها يرتفع الأذان مدويا بكلمة التوحيد ، وفيها يتآخى المسلمون على غير أرحام بينهم ، قال تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾ (١) .

ولأهمية المساجد في بناء المجتمع المسلم كان أول عمل فعله النبي ﷺ في المدينة بعد الهجرة هو بناء المسجد ، ليبنى بداخله الرجال الذين يحملون عبء الدعوة معه ﷺ .

ولقد كان مسجده ﷺ مسجدا متواضعاً ، جدرانه من الحجارة والطوب اللبن ، وأعمدته من جذوع النخل ، وسقفه من الجريد ، وفرشه من التراب والرمال والحصى،لم يكن مزركشا ولا مزخرفا ولا مزيناًيمتاز بحسن جوهره ، وسمو رسالته ، يخرّج عظماء الرجال الذين تربوا في بيوت الله – عز وجل – فتحولوا من رعاة غنم إلي قادة أمم .

وهناك عدة ضوابط هامة يجب أن تراعى عند بناء المساجد منها ما يأتي :

١ – إخلاص النية لله عز وجل : بأن يكون القصد من البناء ابتغاء مرضاة الله – عز وجل – لا رياء ولا سمعة ، ولا جاها وافتخارا،قال تعالى:﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (٢)

---

(١) سورة النور الآيتان (٣٦ – ٣٧) .

(٢) سورة الجن الآيتان (١٨) .

وعنه ﷺ أنه قال : "من بنى لله مسجداً ، يبتغي وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة" (١)

فالمهم أن تكون النية لله أولاً وأخيراً ، وأما تسميته باسم فرد أو عائلة إن كان للتمييز فالراجح فيه الجواز ، قال الإمام الزركشي – رحمة الله –:(كره النخعي وغيره من السلف أن يقال مسجد بني فلان؛لأن المساجد بيوت الله ، والمشهور الجواز ، وقد ترجم له البخاري وأورد فيه حديث ابن عمر أنه سابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق،وليست الإضافة هنا للملك وإنما هي للتمييز،ومثل ذلك لا يمنع) (٢).

وأي مسجد بني من أجل الشهرة والسمعة لا خير فيه ، ولا في من قام عليه ، مثل مسجد الضرار الذي بناه المنافقون على غير نية خالصة ، فأرسل النبي ﷺ رجلين من الصحابة ليهدموه ويحرقوه ، وينزل القرآن الكريم لينهي النبي ﷺ والصحابة عن الصلاة فيه قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ * أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في الصلاة (٣١٨) .

(٢) إعلام الساجد بأحكام المساجد للإمام الزركشي ص ٣٨٥ . تحقيق الشيخ أبو الوفا المراغي ط / دولة الإمارات العربية المتحدة القاهرة ١٣٩٧ هـ .

(٣) سورة التوبة الآيات : ١٠٧ – ١١٠ .

٢- أن تكون أرض المسجد غير مغتصبة أو تم الاستيلاء عليها بطرق غير مشروعة ، من أكل أموال الناس بالباطل ، أو دخل فيها مال حرام ، قال الإمام النووي - رحمه الله - في شرح المهذب (الصلاة في الأرض المغصوبة حرام بالإجماع ، صحيحة عندنا ، وعند الجمهور من الفقهاء وأصحاب الأصول) [١] وفي الحديث عنه ﷺ " إنه قال " إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً " [٢] فلابدّ أن تكون الأرض وأموال البناء من حلال خالص لا شبهة فيه من قريب أو بعيد .

٣ - التحري الدقيق في تحديد القبلة ، قال تعالى : ﴿ ومِنْ حيثُ خرجتَ فولِّ وجْهَكَ شطْرَ المسْجدِ الحرامِ وحيثُ ما كُنتُمْ فولُّوا وُجُوهكُمْ شطْرَهُ ﴾ [٣] .

والوسائل الحديثة التي ظهرت مثل البوصلة تيسر ذلك ، فلابد من الأخذ بها لتحديد اتجاه القبلة تحديداً دقيقاً ، حيث إن استقبال القبلة من شروط صحة الصلاة ، وهو أمر في غاية الدقة والأهمية ، فيجب أن يكون موضوع اهتمام شديد عند بناء المساجد ، لما يترتب عليه من صحة الصلاة أو بطلانها .

٤ - **التمييز** : بحيث يتميز لكل من يراه بشخصيته الإسلامية المستقلة ، فيختلف عن كنائس النصارى ، وبيع اليهود ، ومعابد المجوس ، فالأمة المسلمة لها استقلالها في كل شيء من أمور دينها لاسيما التي تعبر عن أماكن العبادة ، وشعائر الدين ، والأمة لديها ما يكفيها ويغنيها عن التقليد لغيرها ، خاصة في دور العبادة وأماكن الصلاة .

---

(١) شرح المهذب للإمام النووي ٣ / ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في الزكاة (١٠١٥) .

(٣) سورة البقرة الآية (١٥٠) .

٥ – المرافق : يستحب عند بناء المساجد أن يهيأ المرافق الخاصة بها ، مثل مستلزمات الطهارة من الحمامات والوضوء ، وتجميرها بالبخور والطيب ، قال الزركشي : (يجوز بناء المطاهر بالقرب من المساجد والتوضئة منها) [١]

وأن توفر لها مستلزمات الإضاءة مثل المصابيح ، ومستلزمات الفرش والنظافة ، بأن تفرش بالسجاد أو الحصير أو الموكيت . يقول الزركشي : (يستحب استحباباً متأكداً كنس المسجد وتنظيفه) [٢] .

وكلما كان مصلي النساء مستقلاً لكنه يشرف على ساحة المسجد والإمام ، كان أفضل وذلك من أجل متابعة الإمام في صلاة الجماعة .

وفي الحديث : " عرضت على أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد " [٣] . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : " أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب " [٤] .

كما يستحب أن يهيئ لها مستلزمات الإمامة والخطابة والتعليم ، ومستلزمات الأذان مثل مكبرات الصوت ، والمنبر وحجرة للإمام ، ومكتبة للمصاحف والكتب ، ولا بأس بالملحقات التي تساعد على أداء المهمة الدعوية والتعليمية والاجتماعية بجوار المسجد ، حتى يكون المسجد مركز تجمع ينطلق منه الشباب للبناء والإصلاح في ميادين الحياة .

---

(١) إعلام الساجد ص ٣٨٣ .

(٢) إعلام الساجد ص ٣٣٥ .

(٣) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب فضائل القرآن (٢٩١٦) وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

(٤) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في الجمعة (٥٩٤) .

ومن الأمور الهامة التى تراعي عند بناء المساجد إنشاء مكان خاص ليكون مصلي للنساء ، حتى لا تحرم المرأة من العبادة الجماعية في بيوت الله – عز وجل – وحضور مجالس العلم ، فالشرع قد منحها هذا الحق فلا يجوز أن نحرمها منه ، وفي البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر قال : " كانت امراءة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد ، فقيل هلا : لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار ؟ فقالت : وما يمنعه أن ينهاني ؟ قال : يمنعه قول رسول الله ﷺ : " لا تمنعوا إماء الله مساجد الله " (١) .

٥ – من المخالفات التى لحقت بالمساجد

١ – إغلاق المساجد في غير أوقات الجماعة الأولى :

فالهدف من بناء المساجد إقامة الصلاة التى هي عمود الإسلام ، والناس يتفاوتون في أعمالهم ، فمن لم يدرك الجماعة الأولى وتوجه إلي المسجد ، وقد وجد بابه مغلقاً يعود من حيث أتي ، كاسفا باله ، خائب الرجاء ، فمن أمر بإغلاقها بالنهار فقد عمل على تخريبها ، وسعي إلي الصد عن سبيل الله .

وقد نهي القرآن الكريم عن ذلك في قوله تعالي : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَـئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) .

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في الجمعة (٩٠٠) .

(٢) سورة البقرة الآية (١١٤) . .

إن كل مسجد به عدد من العمال يسمح لهم بالتناوب في فتح المسجد والجلوس بداخله ، للمحافظة على أثاثه وفرشه ونظافته ، وصيانته عن عبث الأطفال واللصوص ، فمن يغلق المسجد بحجة المحافظة على ما بداخله فليس له عذر في ذلك .

إن فتح المسجد نصف ساعة لكل صلاة أمر يعطل دور المسجد في الحياة الإسلامية ، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك ، ففي الحديث عنه ﷺ : " يأتي على الناس زمان يتباهون بالمساجد ثم لا يعمرونها إلا قليلاً " (١)

قال الزركشي : (لا بأس بإغلاق المسجد في غير وقت الصلاة صيانة وحفظا لما فيه،خلافاً لأبي حنيفة فإنه منع من غلقها بحال) (٢)

أقول : وإغلاقها يكون عند عدم وجود من يقوم عليها من العمال ، ويخاف على ما فيها من السرقة والضياع ، وهذا لا يكون بالنهار،فأرى أن تغلق ليلاً وتبقى مفتوحة طوال النهار مع بقاء عامل النظافة داخل المسجد.

٢ - تزيين المساجد وزركشتها :

الوظيفة الأساسية للمسجد أنه مكان الشعائر ، وليس معرضا تعرض فيه صور الزينة والزخرفة ، التى تشغل المصلي عن الخشوع والعبادة .

وأما ما نري في المساجد الآن من صور الزخرفة للجدران والسقف والكتابة عليهما ، وتزيين المسجد بماء الذهب والفضة وتعليق القناديل الذهبية ، فهذا لون من الترف والإسراف وإخراج المساجد عن وظيفتيا الحقيقية .

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري فى الصلاة باب بنيان المساجد .

(٢) إعلام الساجد ص ٣٤٠ .

ففي مدينة الألف مئذنة ، مساجد تفتح أبوابها للزائرين من السياح لمشاهدة مظاهر الجمال والزينة ، في حين لا يقام فيها مجلس علم واحد طوال الأسبوع أو العام .

قال الإمام الزركشي:(في تحلية المساجد بالذهب والفضة وتعليق قناديلها وجهان أصحهما التحريم فإنه لم ينقل عن السلف)[١]

فالزخرفة والنقش يترتب عليهما صرف قلوب المصلين عن الخشوع والتدبر ، وشغلهم بمظاهر الدنيا ، في حين أن الغرض من دخول المسجد تفريغ القلب من زينة الدنيا ومغرياتها ، واستشعار ذل العبودية لله – عز وجل – ز

ويضاف إلى ذلك كتابة بعض آيات القرآن الكريم ، أو أسماء الله الحسنى على جدران المسجد ، مما هو مشغلة عن الهدف الأسمى للصلاة

ويلحق بذلك الساعات ذات الأجراس المنتظمة ، والتي تشبه النواقيس ، وكذا ترك التليفونات المحمولة مفتوحة لاستقبال المكالمات أثناء الصلاة .

٣ - اتخاذ المحاريب :

المحراب هو المكان الذي يخصص للإمام في صدر المسجد للصلاة فيه ، ولم يكن في مسجده ﷺ محراب ، ولا في عهد الراشدين ، ولم يرد فيه سنة عن النبي ﷺ وقد (كره بعض السلف اتخاذ المحاريب في المساجد) [٢]

---

(١) إعلام الساجد ص ٣٣٨ .

(٢) إعلام الساجد ص ٣٦٤ .

إن تجويف المحراب وتزيينه والكتابة فوقه بعض الآيات القرآنية ، يلفت أنظار المصلين ويشغلهم عن الخشوع في الصلاة فتركه هو الأولى . وهو محل خلاف بين العلماء ، وعمارة المساجد إنما تكون في الاهتمام برسالتها وجوهرها ، لا بزينتها ومظهرها .

وفي شرح الجامع الصغير للحنفية : (لا بأس أن يكون مقام الإمام في المسجد ، وسجوده في الطاق ، ويكره أن يقوم في الطاق ، لأنه يشبه اختلاف المكانين ، ألا ترى أنه يكره الانفراد ،يقول الزركشي : والمشهور الجواز بلا كراهية ، ولم يزل عمل الناس عليه من غير نكير) [١] .

٤ - علو المنابر التى تقطع الصفوف :

من الأمور المستجدة التى دخلت على المساجد علو المنابر التى تقطع الصفوف ، ويختفي الخطيب فوقها ، فلا يراه الناس ، بالإضافة إلى الإسراف والبذخ والزخرفة والزركشة في صناعتها، فتكون مشغلة للمصلين عن الخشوع .

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه : " كان الرسول ﷺ إذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره إلي خشبة ، فلما كثر الناس قال ابنوا لي منبراً ، أراد أن يسمعهم فبنوا له عتبتين – أى درجتين غير المقعدة التى كان يجلس عليها – فتحول من الخشبة إلي المنبر ، فسمعت الخشبة تحن حنين الوالد ، فما زالت تحن حتى نزل رسول الله ﷺ عن المنبر فمشي إليها فاحتضنها فسكنت " [٢]

---

(١) إعلام الساجد ص ٣٦٤ .

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٢٨٨٤) .

يقول الشيخ محمود خطاب السبكي – رحمه الله – : (يسن اتخاذ منبر للخطبة ، لأنه أبلغ في إسماع الناس ومشاهدة الخطيب " قال باقوم الرومي : صنعت لرسول الله ﷺ منبراً من طرفاء له ثلاث درجات : المقعدة ودرجتان) [١] ولم يزل المنبر ثلاث درجات حتى زاده مروان في خلافة معاوية ست درجات من أسفله ، وهذه بدعة محدثة " [٢] .

قال الزركشي – رحمه الله – : (يكره اتخاذ المنبر الكبير الذي يضيق على المصلين إذا لم يكن المسجد متسع الخطي) [٣] .

ومن المخالفات أيضاً أن توضع أعلام أو ستائر على جانبي المنبر او على بابه ، مما يؤدي إلي منع الناس من رؤية الخطيب ومشاهدته أثناء الخطبة ، ولا فائدة تتحقق من وراء ذلك على الإطلاق .

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ١ / ٧٢ .

(٢) الدين الخالص للشيخ / محمود خطاب السبكي ٩ / ٣١٣ . ط / الثالثة سنة ١٤٠١ – ١٩٨٠ .

(٣) إعلام الساجد ص ٣٧٤ .

٦ - المستحب في المساجد

المساجد بيوت الله - عز وجل - يعمرها المؤمنون الصادقون بالعبادة الصحيحة ، والصلاة الخاشعة ، وعمارتها طريق الفلاح في الدنيا والآخرة ، وطريق الهداية والرشاد ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (١) .

وهناك عدة آداب إسلامية سامية ورفيعة ، وردت في السنة النبوية المطهرة ، يستحب للمسلم أن يحرص عليها ، وأن يلتزم بها ، اقتداء بهديه ﷺ ورغبة فيما عند الله - عز وجل - من الثواب الجزيل ، والأجر العظيم ، ومن هذه الآداب المستحبة ما يأتي :

١ - الدخول بالقدم اليمنى مع الدعاء المأثور عنه ﷺ " بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم افتح لي أبواب رحمتك " .

وعند الخروج يقدم القدم اليسري ويقول : " بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم إني أسألك من فضلك " .

فعن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال : " من السنة إذا دخلت المسجد أن تبدأ برجلك اليمنى،وإذا خرجت أن تبدأ برجلك اليسري " (٢)

وفي صحيح مسلم : " إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ ثم ليقل : " اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليقل : اللهم إني أسألك من فضلك " (٣) .

---

(١) سورة التوبة الآية (١٨) .

(٢) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم .

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٧١٣) .